٢- الوهابية:

بالرغم من كون الوهابية تابعة لجماعة السلفية غير إنني أردت أن أفرد لها مبحثاً خاصاً، ومع اعترافي الصريح بفضل هذه الحركة على الإسلام والمسلمين، وأنهم قد حفظوا الدين من كل فُرقة أو فتنة أو بدعة من الممكن أن تشوه ما تركه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لكنني لاحظت عليهم سقطات كبيرة.

بداية يطلق مصطلح الوهابية علي تلك الحركة الإسلامية السياسية التي قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي على يد محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢) ومحمد بن سعود حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية، وقد كانت بدايتهما في الدرعية إذ أعلن محمد بن عبد الوهاب الجهاد، فشن سلسلة من الحروب (وكانوا يسمونها بالغزوات)، صادروا فيها أموال خصومهم (وكانوا يسمونها بالغنائم)، وخسر العديد من المسلمين أرواحهم نتيجة هذه الحروب، واعتبرتهم مصادر عديدة أنهم بذلك خرجوا على الخلافة الإسلامية التي كانت تحت حكم العثمانيين، بينما اعتبرها الوهابية إقامةً لدولة التوحيد والعقيدة الصحيحة، وتطهيرًا لأمة الإسلام من الشرك، الأمر الذي جعل العديد من علماء السنة يرى في اتهام محمد عبد الوهاب ومريديه للآخرين بالشرك مواصلةً لطريقة الخوارج في الاستناد لنصوص الكتاب والسنة، التي نزلت في حق الكفار والمشركين، وتطبيقها على المسلمين، بينما يرى الوهابية أنهم هم أهل السنة الحقيقيون، وهم الفرقة الناجية الوحيدة من النار، أما من خالفهم فإمّا كافر، أو مبتدع ضال، أو لديه أخطاء في العقيدة.

ونتج عن هذه الحروب قيام الدولة السعودية الأولى، فاستطاعت أن تصل إلى دمشق شمالاً ، وعمان جنوباً.

وفي عام (١٨١٨ م) حاصرت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ودمرتها، إلا إن الدولة السعودية تأسست من جديد في أوائل القرن العشرين تحت قيادة عبد العزيز بن سعود (١٩٠٢ - ١٩٥٣م) مؤسس المملكة العربية السعودية.

جاءت الدعوة الوهابية بالمنهج السلفي بهدف ما تعتبره تنقية لعقائد المسلمين، والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام، وتراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي مثل التوسل، والتبرك بالقبور وبالأولياء، والبدع بكافة أشكالها.

ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والرجوع إلى الإسلام الصافي، وهو طريقة السلف الصالح في اتباع القرآن والسنة، أي عمليا عدم الاعتماد الكلي على المذاهب الفقهية السنية الأربعة، والاعتماد المباشر على النص من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح وإجماع العلماء، مدللين على ذلك بأقوالٍ للأئمة الأربعة .

عقيدة الوهابية:

يرى أتباع محمد بن عبد الوهاب أنّ منهجهم هو المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة؛ حيث اعتمدت أفكار ابن عبد الوهاب بشكل عام على إحياء فكر ابن تيمية وابن قيم الجوزية في نبذ العادات التي رآها الشيخان ملتبسة بالشرك، والتي كانت منتشرة في الأوساط المسلمة، وتنقية العقيدة الإسلامية المبنية على التوحيد الكامل لله.

أما في مجال الفقه فقد اتبعوا منهج ابن تيمية الذي سلك بشكل عام مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وخالفه في بعض المسائل منها: ما يتعلّق بباب الطلاق، ومسألة التوسل.

وبعد فيجب أن أسجل هنا موقفي، بل موقف الأزهر وعلمائه، ولعلني قد مدحت الوهابية في بعض الجوانب، لكن هذا لا يمنع أن أبدي رأي هنا وبصراحة شديدة وفقاً لما رأيناه في أحداث ومواقف، وآراء على الساحة السياسية في السنوات الأخيرة، حيث أقول: إن الوهابية ولا أقول الإمام (محمد عبد الوهاب) بل أتحدث عن بعض أتباع هذه الحركة أنهم يحضون على العنف، والإرهاب، والكراهية، وسهولة التكفير ضد كل من يخالفهم في الرأي، وتشوه بسلوكها الشائن المقاومة الإسلامية في فلسطين والعراق، وإنه من الواجب شرعاً مقاومة هذا الفكر وأتباعه بكافة السبل المتاحة.

أكد العلماء أن الوهابية كدعوة وفكر تقوم على إقصاء الآخر وتكفيره، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي؛ لما تبثه من أفكار إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة، قد تدفع الشباب المسلم إلى تكفير وإرهاب المجتمع والحكام لأوهى الأسباب، وأن العالم المعاصر لم يعانِ من تنظيم أو دعوة مثلما عانى من الوهابية، سواء تمثلت في القاعدة، أو التنظيمات الإسلامية الأخرى.

كما أنّ الوهابية لها موقف سلبي من المرأة والعلم، والموسيقى وجميع الفنون، ومن المسيحيين بل من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى: كالشيعة والأشاعرة وغيرهم.

وهي دعوة للجاهلية، وأغلب الموروث الوهابي قائم على الإرهاب الفكري والديني، ومخاصمة الواقع والعقل، ولذا اعتبره البعض بمثابة (دين آخر) غير دين الإسلام؛ دين يدعو إلى الإرهاب والقتل باسم الله، والله منه براء، وأنّ ما يجري في العراق وأفغانستان بل وحتى السعودية راعية هذا الفكر من قتلٍ وإرهابٍ على الهوية يؤكد أننا أمام دعوة للإجرام والقتل، وليس أمام دعوة لإسلام سمح معتدل.

وبالرغم من أنّ المملكة العربية السعودية تتجه إلى منهج أكثر توسطًا واعتدالًا وتقبلا للآخر وانفتاحا غير مسبوق، وإن كان لي عليه بعض الملاحظات من تجاوزات لا تليق ببلد الحرمين الشريفين، فينبغي أن يكون للأزهر الشريف دورٌ في ذلك؛ لأنه مؤسسة الاعتدال الإسلامي قبل أن يتم اختراقه من الوهابية، ومَن يُسمون بالدعاة الجدد من السلفيين المتشددين.

إن الأزهر الشريف إذا عاد كمؤسسة تنويرية ووسطية معتدلة، فإنها تستطيع الرد بقوة على هذا الغلوّ الوهابي المنافي لروح الإسلام المحمدي المعتدل الوسيط، وأنا أعلم أنه قد يظن البعض أنّ في رأيي تجنيًا وافتراءً، لكن من يُعمل العقل ويحرك بصره وبصيرته يجد مدى الأهوال بل الكوارث التي عانينا منها في السنوات الأخيرة، خاصة من كوني أعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، فكم واجهنا وعانينا آثار تشدد المنتمين لتلك الحركة، بسبب ما ترتب على هذا الفكر المتشدد الذي لا يدع مجالاً للعقل أن يبدي رأيه في ما يدور حولنا من أحداث وأفكار متجددة، قد يكون منها السيئ، وقد يكون منها الصحيح، ولذا كان تكرار المولى – سبحانه وتعالى - في الآيات الكريمة بالدعوة والنظر والتأمل، من ذلك قوله تعالى: " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "([1]) ، " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " ([2]) ، " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "([3])

أليس في كل هذه الآيات دعوة صريحة لإعمال الفكر والعقل والنظر والتأمل، ما من شيء إلا أن المولى سبحانه وتعالى يريد أن نتواكب مع مستحدثات كل عصر؛ لنستطيع أن نقف على ما يصلح لنا وما لا يصلح، وأن نتكيف مع البيئات البعيدة عن المجتمعات الإسلامية، والتي تختلف معنا سلوكًا وعقيدةً وأفكارًا.

---

[1]- سورة الجاثية آية (١٣) .
[2]- سورة النحل آية (١٢) .
[3]- سورة الروم آية (٣٧) .